

اعتزال المهبطين من أهر مقاصد الدين

اعتزال المهبطين من أهر مقاصد الدين

خطبة صفة:

(21/ربيع الثاني/1427هـ)

(الشيخ المحدث: أبي عبد الرحمن يحيى بن علي الحجوري -حفظه الله تعالى-)

=====

الحمد لله، وسبحانه وتسفيته، واشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له، واشهد ان محمداً عبده ورسوله.

(يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ، وَلَا تُؤْتُواهُنَّ إِلَّا وَاتَّقُوا مُسَاهُونَ)) (إل عمران:102). (يا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسِكُمْ وَوَكَّلَ بِكُمْ مَا تَدْعُونَ وَمَا تَرْجُونَ وَمَا فِي بَيْتِكُمْ مِنْ كُنُوزٍ وَمِمَّا فَغَنَّا لَهُمْ مِنْ قُدْرَةٍ وَأَنْتُمْ بِهِمْ مُوَكََّلُونَ رَبُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانُ عَاطِمًا رَحِيمًا)) (النساء:1). (يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَفُؤُوا قَوْلًا سَدِيدًا * يُصَلِّحْ لَكُمْ كَلِمَاتِكُمْ وَيُبْغِزْ لَكُمْ ذُرِّيَّتِكُمْ وَمَنْ يُجِبِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا)) (الذاريات:71-70).

لها بعد:

فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدى رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم، وشراً النور وحديثهما، وكل واحدة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أيها الناس! يقول الله عز وجل في كتابه العزيز: (إلا خير في كثير من نجواهم إلا من أمر بصدقة أو معروف أو إصلاح بين الناس ومن يفعل ذلك ابتغاء مرضاه الله فسوف نؤتيه أجراً عظيماً * ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين أوله ما تولى ونصير جهنم وساعتها صيباً)) (النساء:114-115). ويقول سبحانه وتعالى في كتابه العزيز: (واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ولا تعد عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره شهواً)) (الكهف:28).

في الآية الأولى من مائةين اليتين أن الخير قليل في الناس إلا من استثنى الله سبحانه وتعالى بقوله: (إلا من أمر بصدقة أو معروف أو إصلاح بين الناس)) (النساء:114). وما عدى ذلك من الناس فلا خير فيهم، وهم الأكثرون، قال الله عز وجل: (وإن كثيراً من الظالمين ليريبي بعضهم على بعض إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وقليلٌ وأ هم) (ص:24). فالأكثرون لا خير فيهم: (وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين)) (يوسف:103). (وإنك أكثر الناس لا تعلمون)) (التغاب:187). والقلّة فيهم خير، وإذا كان الأمر كذلك، فإنه يجب على كل مسلم أن يعتزل الكثير الشريرة وأن يترك القلة الحرة، وأن يصبر نفسه على ذلك، فإن هذا الأمر شاق وقد حفت الجنة بالكافره كما أباين ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم، وفي القرآن ما تلوّن: (واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه)) (الكهف:28). وحذر الله عز وجل من أن تهتد العين إلى من سواهم: (ولا تعد عيناك عنهم)) (الكهف:28). وأن يجاورة العينين عن مولاه ابتغاء الحياة الدنيا وابتغاء عرض الدنيا، بل أوجب الله عز وجل اللعراض عن قليل الخير: (فلعرض من تن تولى عن ذكرنا ولم يرد إلا الحياة الدنيا * ذلك يبلغهم من العلم)) (الجن:30-29). قد يكون ذلك الإنسان عنده خير من حيث الصلة الرحم، ومن حيث بعض الأعمال أو الذلخ، لكننا لا نتسامح شيئاً إذا لعرض عن ذكر الله وتولى عن ذكر الله فوجب اعتزاله.

أيها الناس! إن أمر الناس وجه صار سريعاً ومختلفاً، ولتنبأ على كثير من الناس فالواجب على المسلم أن يتخير من يجالس وأن يعتزل من يراه فيه أو يبس أو لاحظ منه خلاف الخير، وأن هذا هو دعوة النبياء والمرسلين على اعتزال المعاصي والشركيات وامامنا، وعلى مخالفة الناس بتجود الخير والحق، ومن أب الحق لعرض عنه، فالبد من تعصّل في أمر الخطاة والاعتزال وليس الأمر على حد سواء: (وإذا أوبى لأخصب فأخصباً فمن أن أن تفرّج عليه فأعدو في الظلمات كن لا اله الا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين * فاستجبنا له ونجيناه من الغم وكذلك نلجى المؤمنين)) (التين:88-87). ذهب فاضلاً واعتزل دعوة قومه ولم يصبر عليهم وقد أمره الله بذلك فعاتبه الله بما قد ذكره في كتابه عز وجل، ولكن أباية الله ومكدا سائر من سلك مسلكهم يعززون فخور الناس وبهاضي الناس، ويعززون من حدا أو أمر ذلك أو استبر عليه، فعدا نبي الله إبراهيم عليه الصلاة والسلام يدعو إليه دعوة يابفة إلى الإسلام وإلى التوحيد، فيقول: (يا آبت لو تعدد يا لا تسعوا ولا ينصروا ولا يقين عتق شيئاً * يا آبت في قد كنتي من المار يا أو يأتك فاقبضى أمدك صراطاً سوياً * يا آبت لا تعبد الشيطان إن الشيطان كان للإنجين عصباً * يا آبت إني أكنف أن يفسد عتاك من الرحمن فتكون للشيطان ولها * قال لأبى أنت عن الهني يا إبراهيم إن لم تنه لارتجلك وهمزى ولها * قال ساروا علينا ساستعشر لك نبي أنه كان في حنيا * وانكزلكم)) (مريم:42-48). ليس بهن أن والده أمر عليه ببعوته أو لله تبنيه على ما يقول، ولكن اعتزل يا هو فيه من الفتنة، إيا راي منه اللعراض عن الحق، وهذا الاعتزال سهواً لله عابدة: (وانكزلكم وما تكونون من دون الله)) (مريم:48). لو، يا تعدون: (وكنوا نبي عسى أن تكون بدعة نبي شيئاً * فإنا اعتزمهم وما يحدون)) (مريم:48-49). اعتزاهم واعتزل يماضمون إلى الله عليه، ولا يرضى الله إلا ما كان محبوباً إليه، وما كان عابدة له: (فإنا اعتزمهم وما يحدون من دون الله ومبأاً له إسحاق ويعقوب وكلاً جعلنا نبياً)) (مريم:49). اعتزل إياه فأكفره الله بولاده صالحين، بدل ذلك أتى الهرض أخضه الله ويسر له جليساً صالحاً وأكفره بذلك، فاعتزل أهل الباطل سبب الكراهة، وإذا اعتزلك يبطل من الباطلين عوصت الله بخير منه كما عوض الله نبيه إبراهيم بخير من إيه، بعد أن بدل وسعه في أن يكون جليساً صالحاً، فأبى الله له إلا ذلك الشرر والاستمرار عليه حتى مات على ذلك وصار من أهل النار، وهكذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوجب الاعتزال لخصمه من نسانه ونصير له، فيعتزله تخديماً لهم وتمخدياً لهم، اعتزل نسانه، فهو، إذا حصل من نسانه عليهم رضوان الله بعض ما اغضبه اعتزل كذلك، وهذا هذا الاعتزال فيه تاديب لهم بحيث انه ما اتقى الشمر إلا وقد استبطنه: (يا رسول الله الشمر تلوّنون؛ قال: * واشهر نسج وعشرون).

واعتزل كعب بن مالك وملائ من أمة يورارة بن أمة عليهم رضوان الله حين تخلفوا عن غزوة تبوك اعتراهم وأمر الناس أن يعتزلوهم، بل أمر نسانهم باعترامه تاديباً، فاعتزل صاحب الباطل فيه حبس له يفيد: على ذلك قامت دعوة المرسلين: (فإن آمنوا بايماناً أو بعللٍ فأنتنهم به فقد اهتدوا)) (البقرة:137). وهنئ ذلك: على أن الذي عليه رسول الله

التعير واعتزال الباطل وأهل الباطل لا يتأدب لآفة إلا في حدود دعوتهم وتعليمهم وتأييدهم، فإن هذه الدعوة سارة اللذ في مجتمعات المسلمون، سواء كانت تهيب المسلمون وتغلت المسلمون إلى أفكار الكفار أو ما يسمونه بالدوار، وهم في الحقيقة نارون المسلمون ويتلألون عند أقدام الكافرين، سواء تلك الرحلات التي يهضمون إلى الدينفارك من أجل ما يسمونه بالدوار.

يا أيها الفسقة ممن يدعي العار! إنكم اهتدوا أنفسكم واهتدوا الإسلام بما تسمونه بالدوار، إن اليمود والنصارى أحرر من أن تجاؤوا اليمع عند أقدامهم يهتدون عليكم بالنموال ويهتدون عليكم بالعطايا، وتتلاون الإسلام والمسلمين إلى ما يقررونه عليكم وما يلقونه عليكم من اللقاعات إن هذا هو الدوار، حوار رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ اللَّهِ)) [آل عمران:64]. حوار رسول الله صلى الله عليه وسلم لتلك الكفار: ((سَلُوا تَسْأَلُوا بِتِلْكَ الْكَلِمَةِ الَّتِي نَعْبُدُ اللَّهَ بِهَا وَإِنَّا لَنَعْبُدُ اللَّهَ مَا عِبَادُ اللَّهِ مُسْلِمِينَ)) [آل عمران:64]. حوار رسول الله صلى الله عليه وسلم للكفار والمشركين أنه عندما دعا مسيحية فوالت: ((إِن أُدْرِيتُ لِرَبِّعَتِكَ اللَّهُ، حِوَارَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الَّذِي رَبِّي عَلَيْهِ أَصْحَابُهُ، أَنِ جَعَلْنَا بِحَاوِرِ النَّجَاشِيِّ وَبِقَرَا عَلَيْهِ صَدْرًا مِنْ سُورَةِ: (كَهَيْصَلٍ)) [زمر:1]. فلما كان هذا هو الحق قال النجاشي: والله يا جاوز عيسى مثل هذا وأخذ شيئاً يسيراً فقال: يا جاوز بكثر من مثل هذا، يعني: بها في القرآن وما في السنة، فمؤاء فسقة، على من تغربون بهذا الكلام؟ إن هذا يعتبر حواراً حوار الدين! يا أخي هذا دين إسلام: ((إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ)) [آل عمران:19]. ((وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الدَّرَجَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ * كَيْفَ يُعْجِبُ اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بِحُدُودِ اللَّهِ وَمَشَٰهَدًا أَنْ يُرْسِلُوا حَقًّا)) [آل عمران:85-86] إلا أن يشاء الله سبحانه وتعالى.

فمؤاء وخطباتهم ولقواهم ينفقونها ليصدوا عن سبيل الله، ويرجو أن يكون ذلك خير الله سبحانه وتعالى: ((فَسَيُفْقَهُنَّهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِنَّ حِسْرَةٌ ثُمَّ يَجْلَبُونَ)) [الزفال:36]. أخبال الكفار كلها اليهودية والنصرانية واليهودية والهندوسية وسائر الأديان كما باطله: ((وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيِّئًا عَلَيْهِ هُدًى بَيِّنًا وَمَا أَرْزَلْنَا إِلَيْهِ وَلَا نُنزِلُ لَكُمْ سُبْحَانَ اللَّهِ وَلَا نُفِيهِمْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ)) [المائدة:48]. هذا في زهم شريعتهم، أما بعد بعثة رسول الله فإن الله عز وجل يلغى بهذا الدين، قال النبي عليه الصلاة والسلام: ((وَأَدْعُو نَفْسِي بِحَدِّ لَا يَسْمَعُ بِي يَهُودِي وَلَا نَصْرَانِي ثُمَّ لَا يُؤْمِنُ بِي إِلَّا كَانُ مِنْ أَهْلِ النَّارِ))، فعلى هذا فمفء الحوات التي يفيقونها وعلى سماع ووراء من المسلمون دون تكبير فيها يسمونه بالدوار هذا ما هو حوار هذا المييار، هذا لا ليس حوار هذا حوار، هذا ليس حوار هذه سوء الأفكار وتلقى أفكار الكفار، أنها الحوار إن يدعي الكفار إلى الإسلام وإن أبوا ليرض عنهم واعتزلوا واعتزل سائر أهل الباطل من أهل البدع والشركيات والبدع والخرافات، كل من تعرض عن دين الله فإله غني عنه: ((وَأَنْ تَتَّوَلَّوْا يَوْمًا يُبْعَثُونَ قَوْمًا لَا يُكُونُوا لِي آئِينَكُمْ)) [محمد:38]. ((فَإِنْ لَرَضُوا فَعَلِ آتَيْنَكُمْ صِلَةَ وَإِلَّ صِلَةَ عَادَ وَتُؤَدَّ)) [فصلت:13]. ((يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا اللَّهَ الْفَرَاءَ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْجَدِيدُ * إِنْ يَشَأْ يُحْضِكُمْ وَبَاتٍ بِحَقِّ جَدِيدٍ * وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ)) [फलور:15-17].

هذا ونسأل الله التوفيق لما يحبه ويرضاه.

والحمد لله.